السنة الثالثة ليسانس
المستوى : السداسي السادس
المقياس:علم الدلالة 2
المعامل: 02
الرصيد: 04
نوع الدرس: محاضرة – وحدة التعليم الأساسية.
الأستاذة: د. غنية تومي

المحاضرة 02: نظرية الحقول الدّلاليّة (2)

1/ مهاد:

ظهرت خلال عشرينيّات وثلاثينيّات القرن العشرين فكرة نظريّة الحقول الدّلاليّة، بزعامة علماء أوروبيّين خاصة من سويسرا وألمانيا من مثل **إيبسن Ipsen**، و**جولزJolles**، و**بورزيغ Porzig** وغيرهم، بيْد أنّ الانعطافة الحقيقية لترسّخ الفكرة هو تطوّر علم الدّلالة التركيبي مع جهود اللّغويّ **تريير Trier** الذي اهتمّ بالثروة اللّغويّة الألمانيّة، وذلك من خلال عمله الضخم "الثروة اللّفظية للّغة الألمانيّة في دائرة الحقل اللّغويّ من البدايات إلى بداية القرن الثالث عشر"، وتتبّع فيه مختلف أشكال التّغيّر الذي اعتور اللّغة الألمانيّة عبر تلك الفترة الممتدّة، ما أدّى به إلى التّنبّه لفكرة الحقل أو المجال، وتوصّل إلى أنّ الكلمات تغطي المجال الكلّي للحقل، وأنّ الحقول تغطّي المجال الكلّي للثروة اللّفظية التي تتفرّع إلى حقول تتوزّع بدورها عبر صلات متدرّجة، كما أنّ معنى الكلمة المفردة مرتبط بمعاني الكلمات القريبة منها دلاليّا، وهذه الألفاظ تتّحد في ضوء عددها وموقعها في الحقل الكّلي، ولا يمكن معرفة معنى الكلمة ما لم يعرف بقية كلمات الحقل، ومدى العلاقات التي تربط بينها؛ فهذا **تريير** يصرح أنّ قيمة كلمة ما لا يمكن تحديدها إلّا بتعريفها ضمن علاقاتها بقيمة الكلمات المجاورة لها والمتباينة معها. إنّها لا تحصل على معنًى إلّا باعتبارها جزءا من كلّ، ولهذا فإنّه ليس هناك من معنًى إلّا داخل المجال.

2-تعريف الحقل الدّلالي Semantic field:

الحقل في الاصطلاح هو العمود الذي تندرج ضمنه وحدات لغويّة تجمعها خصائص مشتركة، كالألوان والأمراض والصّفات وغيرها، فهو يجمع كلمات مرتبطة دلاليّا، ويصنّفها ضمن لفظ عامّ في زمن محدّد، ولغة معيّنة محدّدة[1].

ولعلّ أشهر مَن عرّفه اللّغويّ **بيير لورا Piere Lerat** بقوله هو:" مجموعة من الألفاظ (mots) المرتبطة فيما بينها ارتباطا ضيّقا، ويحكمها غالبا لفظ أوحد عامّ(terme)" [2]، ويقول أحمد مختار عمر:"الحقل الدّلاليSemantic field أو الحقل المعجميLexical field هو مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عامّ يجمعها"[3]، فتشكّل قطاعًا من المادّة اللّغويّة تعبّر عن مجالٍ معيَّن من الخبرة والاختصاص، من ذلك مثلاً حقل الكلمات الدَّالة على الألوان، أو الدّالة على القرابة أو الحيوانات الأليفة أو المتوحِّشة...، ويكون **معنى** الكلمة هو إجمالي علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي، أي إذا أردت فهم معنى كلمة ما فعليك أن تفهم أيضا مجموعة الكلمات المتّصلة بها دلاليّا.

نقد لأحمد مختار عمر: هو خلطه الواضح بين الحقل الدّلالي والحقل المعجمي، وجعلهما شيئا واحدا دون تمييز بينهما، والواقع ينفي ترادفهما؛ فلكلّ دلالته الخاصّة وسياقاته الخاصّة. يقول عبد القادر الفاسي الفهري بهذا الخصوص:" يبدو أنّ كلّ لغة تنتظم في حقول دلاليّة، وكلّ حقل دلاليّ له جانبان: حقل تصوّري وحقل معجمي، ومدلول الكلمة مرتبط بالكيفيّة التي تستعمل بها مع كلمات أخرى في الحقل المعجمي نفسه لتغطية الحقل الدّلالي وتمثيله، وتكون كلمتان في الحقل الدّلالي إذا أدّى تحليلهما إلى عناصر تصوّريّة مشتركة. وبقدر ما يكثر عدد العناصر المشتركة بقدر ما يصغر الحقل الدّلالي"[4]. إذن فالحقل المعجمي خاصّ والحقل الدّلالي عامّ، والأوّل هو الفضاء الذي يشهد علاقات كثيرة بين الكلمات التي تنضوي ضمنه لتغطية وتمثيل الحقل الدّلالي الذي يرتبط بالتّصوّر.

3- غاية التّحليل في الحقول الدّلاليّة: تتمثّل في جمع كلّ الكلمات التي تخصّ حقلا معيّنا، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العامّ.

4-مبادئ النّظريّة: تقوم هذه النّظريّة على جملة مبادئ أهمّها:

-لا وحدة معجميّة Lexeme عضو في أكثر من حقل.

-لا وحدة معجميّة لا تنتمي إلى حقل معيّن.

-لا يصح إغفال السّياق الذي ترد فيه الكلمة.

-لا تدرس المفردات مستقلّة عن تركيبها النّحويّ.

5- أشكال تصنيف المفاهيم في النّظريّة: استفادت هذه النّظريّة من نتائج دراسات اللّغويّين الأنثروبولوجيّين في مجال التّصنيفات العامّة التي توصّلوا إليها في مجالات ثقافيّة عديدة، كما تتابعت تصنيفات بقية اللّغويّين للكلمات حسب موقعها في الحقل الدّلالي وتنوّعت، ولعلّ من أشهرها:

أ/ تصنيف **فارتبورغ Wartburg** و **هاليغ Hallig**: صُنِّفَت المفاهيم الموجودة في اللّغة استنادًا إلى الأطر المشتركة بين لغات البشر؛ إذ تتقاسم اللّغات جميعًا عددًا من التَّصورات المشتركة وهي"مفاهيم عالمية"، فقسّمت إلى ثلاثة أصناف عامّة هي: الكون-الإنسان-الإنسان والكون؛ فالكلمات التي تشير إلى **الكون** تذكر مكوّنات الطبيعة وظواهرها كالسّماء والغلاف الجوي والأرض والنبات والحيوان، والكلمات التي تشير إلى **الإنسان** تضمّ الفكر والعقل والحياة الاجتماعيّة، أمّا الكلمات التي تصف العلاقة بين الإنسان والكون فتضمّ كلّ ما يمتّ بصلة للعلم والصّناعة والاقتصاد والفن وغيرها.

ب/ تصنيف مؤلّفي معجم « **Greek New Testament**»: وهو من أشمل التّصنيفات التي أقيمت وأكثرها منطقيّة، و يقوم على الأقسام الرّئيسيّة الأربعة الآتية:

* الموجودات* الأحداث * المجرَّدات * العلاقات، وتحت كلّ قسم فروع أصغر، والفرع إلى ما أقلّ وهكذا، عملا بمبدأ الانتقال من العموم إلى الخصوص(5).

والملاحظ أنّ حجم الحقول يختلف من مجال إلى آخر، وأنّ أكبرها في أيّ لغة هو مجال الكائنات والأشياء، ويليه مجال الأحداث، ثمّ مجال المجرّدات، وأقلّها مجال العلاقات(ويقصد بها علاقات الترادف والاشتمال وعلاقة الجزء بالكلّ والتّضاد والتّنافر).

6-أهميّة النّظريّة:

-الإسهام في الكشف عن أوجه الالتقاء والافتراق بين الكلمات التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد.

-المساعدة على تحديد قيود الاختيار التي يستوجبها المحمول في كلّ موضوع من موضوعاته.

-تيسير السّبل للباحثين في تصنيف اللّغات إلى مجموعات معجميّة حسب تصوّر دلالي عوض الاعتماد على الجانب الشكلي في عملية التصنيف تلك.

-تقديم نقاط الالتقاء بين المتكلّمين في بقاع العالم على المستوى الدّلالي الذي تتقاطع فيه مختلف المجتمعات، كالمجرّدات والمحسوسات وغيرها.

-تبيين الفجوات المعجميّة التي قد توجد في حقل دلالي ما وإظهارها.

-تقديم قائمة متنوّعة من الكلمات لكل حقل على حدة، كما يمدّنا بالتّمييزات الدقيقة لكلّ لفظ، ما يساعد المتكلّم و المبدع على السّواء في انتقاء ما يحتاج من ألفاظ ليعبّر بدقّة وعناية عمّا يريد التعبير عنه.

-المساعدة على إنتاج لغة وظيفيّة يستعملها الأدباء والمحامون والسّياسيّون وغيرهم نتيجة جرد لوائح من الألفاظ لكل حقل عن كلّ موضوع.

-ضبط الرّصيد المفرداتي وإضفاء صفة النّظام من خلال وضع مفردات اللّغة في شكل تجميعي ينفي عنها التّسيّب و التّشتّت.

7- نقد النّظريّة: من أهمّ الانتقادات التي وجهّت للنظريّة:

-صعوبات منطقيّة تُدخِل التعريف أو تحديد معنى الكلمة في دائرة مغلقة نتيجة ربط الكلمة بعلاقاتها بغيرها في محيط الحقل الواحد.

-غموض المعالم والحدود الخارجيّة بين الحقول الدّلاليّة؛ لأنّ خيوط الرّبط بين الحقول متنوّعة وغير مقطوعة تماما.

-عدم بناء النّظريّة على أسس استقرائيّة مسحيّة، فيكون الحقل مجرّد مثال لغويّ محتمل.

وربّما كان رأي اللّغويّ **ستيفن أولمان** تجاه هذه النّظريّة محصّلة جامعة بين مدح وقدح لمّا قال: "ولا تزال نظريّة **الحقل اللّغويّ** في مرحلة الطفولة، وقد تكون الآمال المعقودة عليها مجرّد اندفاع بالغ الحماس والتّفاؤل؛ لأنّ غموض المعنى واختلاط حدوده-بالإضافة إلى التّداخل في معاني الكلمات-كثيرا ما يحول دون تطبيق أيّ نظام صارم دقيق، ولكن ممّا شكّ فيه أنّ هذه النّظريّة تعدّ خطوة إيجابيّة في الطريق السّليم لهذا النّوع من البحوث، وذلك بسبب اهتمامها البالغ بمجالات كاملة من مجالات الفكر"[6].

للتوسع أكثر ينظر:

- فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005م، ص173-174.
- صلاح الدين زرّال، الظاهرة الدّلاليّة عند علماء العربيّة القدامى حتّى نهاية القرن الرّابع الهجريّ، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008م.
- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء، عمّان، ط1، 2002م.
- بنعيسى عسو أزابيط، الوجيز في علم الدلالة، دار الأمان، الرّباط، ط1، 2016م.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة.
- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللّغة العربيّة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986م.
- فوزي عيسى ورانيا فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط1، 2009م.
- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة.

الهوامش:

[1] -عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء، عمّان، ط1، 2002م، ص559.
[2] -بنعيسى عسو أزابيط، الوجيز في علم الدلالة، دار الأمان، الرّباط، ط1، 2016م، ص45.
[3] -أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص79.
[4] -عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللّغة العربيّة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986م، ص202.
[5] -ينظر: نفسه، ص165-166.
[6] -ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص238.